

ويطرح سؤال مهم جدا نفسه هنا: كيف يمكن للنفس أن تتزكى بمجرد تحمّل الجوع والظمأ، ومن أين لهذا التعب الجسدي أن يُنشئ علاقة بين الله وعبده؟ فليكن معلوماً أنّ القلب الإنساني مشوب بعقل كثيرة. فلا يصلح إناء القلب لاحتواء محبة الله النقية ولا يمكن بلوغ النشوة السامية لدى تذوق تلك المحبة إلا بإخضاع القلب لنار المعاناة والصبر للقضاء على شوائبه وعلله.

فمن الضروري جعل النفس صالحة للقاء الله تعالى بتكبتها المشقة والتعب والكد والكدح في سبيله كما يؤكد ذلك قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهٖ﴾ (الانشقاق: ٧)  
ولقد تناول سيدنا الإمام المهدي عليه السلام هذا الموضوع على النحو التالي فقال: "عليكم أن تتخلّوا عن تسمين النفسانية فإن الباب الذي دُعِيتُم إليه لا يدخل منه السمين" (سفينة نوح)

إن لقاء الله تعالى يستلزم دخول المؤمن الحقيقي في نار المجاهدات الشاقة والشدائد المتنوعة. فاعلموا أنّ هذه الشدائد نوعان: أولها: هي تلك المصاعب والآفات التي تحلّ بالإنسان ابتلاءً من الله تعالى والتي قد تعجز قدرة الإنسان عن تحمّلها، لذلك علّمنا الله تعالى دعاءً لاستبعاد تلك الشدائد والصعاب التي قد لا يُطبقها الإنسان. فقال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٧)  
وثانيها: هي تلك المجاهدات التي يختارها

## بركات رمضان

### العظيمة

شهر رمضان شهرٌ كريم. تكثر فيه أسباب الغفران، يعظّم الله فيه الأجر والثواب ويجزل المواهب ويفتح أبواب الخير لكلّ راغب. إنّه شهر المنح والخيرات، شهرُ الرحمة والمغفرة والعطف من النيران، شهرٌ تفتّح فيه أبواب الجنان وإنّه شهر قال عنه الرحمن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: ١٨٦)

إنّه شهر محفوف بالبركات الجليلة ويكفيك الاهتمام الذي يوليه إياه القرآن الكريم بحيث يورد ذكره في طياته ويأمر بفرضيته ثمّ بحث على الاستمتاع ببركاته الشاملة فيقول: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: ١٨٦)

فالؤمن المسلم يصوم رمضان ابتغاء التخلّص من أدران الذنوب وأرجاس الآثام التي علقت بنفسه طوال السنة ورغبةً في الفوز بلقاء الله عزّ وجل.

وجما لا شكّ فيه أنّ الله تعالى علّم المسلمين عبادات شتى لتطهير نفوسهم من قذارة المعاصي ووساخة الأعمال السيئة كما أنّه خصّ كلّ عبادة من هذه العبادات بجزاء معيّن في حين أنّه خصّ الصوم بلفائه عزّ وجلّ جزءاً للصائم ويؤكد ذلك ما ورد في حديث قدسي:

"الصوم لي وأنا أجزي به" (الصحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم). ويسعى الصائم من خلال صومه أن يتخلّق إلى حدّ ما بأخلاق الله تعالى وذلك بامتناع عن تلبية رغباته الفطرية وتعلّبه على اللذة المباحة وتركه المتطلبات النفسية والحسية التي قد سمح له الله بالاستمتاع بها. وإنّ هذا التشبّه إلى حدّ ما يؤهله للقاء الله تعالى.

المؤمن بنفسه إرضاءً لله تعالى .  
 والصوم واحد من تلك المجاهدات .  
 لقد وضَّح الله تعالى في القرآن الكريم  
 الغرض الأسمى للصوم، ألا وهو بلوغ  
 التقوى في قوله: ﴿..... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾  
 (البقرة: ١٨٤)

وتعالوا نلاحظ، كيف يتمكن الصائم من  
 نيل التقوى بصيامه .  
 أولاً: يتسنى للصائم أن يستشعر لدى  
 امتناعه عن الأكل والشرب بمدى معاناة  
 الفقراء والجياع والعطشى مما يحمله على  
 مواساتهم والإحسان إليهم والتعاطف  
 معهم، إذ لا يمكن للإنسان تقدير معاناة  
 الآخرين إلا إذا عانى منها أو مرَّ بها .  
 لذلك فقد أتاح الله للمؤمن فرصةً في صيام  
 رمضان حتى يُدرك مدى معاناة البؤساء  
 والمحتاجين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى  
 جعل من رمضان شهراً يفيض بالصدقات  
 والإنفاق في سبيل الله . ومما يُذكر عن  
 رسول الله ﷺ أنه "كان أجودَّ الناس وكان  
 أجودَّ ما يكون في رمضان حين يلقاه  
 جبريل ..... فإذا لقيه جبريل ﷺ كان  
 أجودَّ بالخير من الريح المرسلة" (صحيح  
 البخاري، كتاب الصوم، باب أجود ما  
 كان النبي ﷺ يكون في رمضان).

ثانياً: يتعلم الصائم درساً من الصيام أنه  
 إذا كان يريد الفوز برضاء الله تعالى فلا  
 بُدَّ له من ترك بعض ملذاته الدنيوية ورغباته  
 النفسانية وحاجاته الفطرية، فإذا فعل ذلك  
 فإنه من تقوى القلوب .  
 ومما يعلمنا الله تعالى في رمضان أنه إذا  
 كان الإنسان يقدر على ترك بعض الحلال

من أجله عز وجل، فلم لا يحاول ترك  
 الحرام ابتغاء مرضاة الله تعالى .  
 إن من بركات رمضان المبارك "استجابة  
 الدعاء". ففي هذا الشهر تفتح أبواب  
 لقبول الدعاء ويؤكد ذلك قول الحق تعالى  
 حيث قال بعد بيان فرضية الصيام:  
 ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ  
 أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا  
 لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧).

هناك بركة عظيمة أخرى لرمضان وهي  
 قيام الليل أو صلاة التهجد . حيث يترك  
 المحبُّ الوهَّانُ مضجعه قبل السحور تاركاً  
 نومه العميق وسريره الناعم، فيتوضأ ويقوم  
 في حضرة الله تعالى داعياً ومناجياً إياه .  
 فهو يتهلل ويتضرع إلى محبوبه في الوقت  
 الذي قال عنه رسول الله ﷺ : إنَّ الله  
 تبارك وتعالى ينزل فيه إلى السماء الدنيا  
 وينادي عباده قائلاً: هل من مستغفر فأغفر  
 له، هل من مستزق فأرزقه، وهل من  
 مستشف فأشفيه .

سبحان الله، ما أجملَ هذا الوقت وما  
 أروع تلك الساعات بحيث إنَّ مالك  
 الأرض والسماء وما فيهما يُنادي الناس  
 فاتحاً أبواب خزائن رحمته الواسعة وأفضاله  
 الكبيرة بل ويجرّضهم على الاستغفار فيعفو  
 لهم والاستزاق فيرزقهم والاستشفاء  
 فيشفيهم .

وإن ليلة القدر أيضاً هي من بركات  
 رمضان العظيمة . يقول تعالى في كتابه  
 المجيد:  
 ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا

لَيْلَةُ الْقَدْرِ \* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ \*  
 تَنزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ  
 مِنْ كُلِّ أَمْرٍ \* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ  
 الْفَجْرِ﴾ (سورة القدر).

ليلة القدر إنما هي عيدٌ يُحتفل به بمناسبة  
 نزول القرآن الكريم ويتجلَّى الله على عباده  
 بالرحمة والرضوان في هذه الليلة المباركة  
 التي تفوق كلَّ ليالي حياة الإنسان بركة  
 وفضلاً . وتنزل الروح والملائكة على قلب  
 المؤمنين حاملاً رسائل الأمن والسلام .

لقد أمر سيدنا رسول الله ﷺ بتحريها في  
 الوتر من العشر الأواخر من رمضان ولكن  
 لا يعني هذا أن كلَّ من سهر ليالي الأفراد  
 في العشر الأواخر فقط، يُستجاب له فيها  
 كل ما يدعو به . فإنَّ هذا الأمر مرفوض  
 أو بالأحرى غير معقول . وإن حدث ذلك  
 لانتقل الدين إلى لعبة . بل عليه أن  
 يستجيب لأوامر الله تعالى ليستجيب الله  
 لدعائه الموافق هذه الليلة .

أن يوقف المرء للإكثار من تلاوة القرآن في  
 رمضان هو بركة أيضاً من بركات هذا  
 الشهر الكريم إذ أنَّ الصائم يربط لسانه  
 بتلاوة القرآن الكريم آناء الليل والنهار  
 وفي صلاة التهجد، كما أنه يتمتع بسماعها  
 في صلاة التراويح . لقد قال سيدنا محمد  
 ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله  
 حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "الم"  
 حرف ولكن "ألف" حرف و"لام" حرف  
 و"ميم" حرف» (الترمذي) .  
 وقال أيضاً إنَّ المؤمن إذا قرأ حرفاً من  
 القرآن محاً الله به عنه خطيئة ورفعه درجة .  
 (بقية ص ٣٣)